تائيّة الإلبيري

شَرْحُ فَضِيلَةِ الشّيخِ

د. مُحَمَّد هِشَام طَاهِرِيْ

تنبيه: الشيخ لم يراجع التفريغ

لأي تنبيه التواصل

(0096550110130)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

كنا قد وقفنا على قول المصنف:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤- فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمًا ... لَآثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجتِهَدْتَا
١٥- وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوىً مُطَاعٌ ... وَلَا دُنْيَا بِزُخْرُفِهَا فُتِنْتَا
١٦- وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أَنِيقُ رَوْضٍ ... وَلَا خِدْرٌ بِرَبْرَبِهِ كَلُفْتَا
١٧- فَقُوتُ الرُّوْحِ أَرْوَاحُ الْمَعَانِي ... وَلَيْسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَلَا شَرِبْتَا
١٨- فَوَاظِبْهُ وَخُذْ بِالْجِدِّ فِيهِ ... فَإِنْ أَعْطَاكَهُ اللَّهُ انْتَفَعْتَا

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمًا... لَآثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجتِهَدْتَا**)؛ إذًا فيه إشارة إلى سبيلٍ من سبل نيل العلم، وهو أن تمرن نفسك وتتمرس في ذوق حلاوته، فإذا ما ذقت حلاوة العلم لا يمكن أن تؤثر عليه لا طعامًا ولا شرابًا، بل ربما أنك تنسى الأكل والشرب لِما تحس من لذة العلم.

بعض الناس -وأنا أعرفهم شخصيًا- قد كان أكولًا يحب أنواعًا من الطعام، فلما طلب العلم لو تسأله عما يُحب من الطعام لما عرف ماذا يُعبِّر؛ نسي كل ذلك، العلم -أيها الإخوة- من أحس بلذته فقد اللذات الأخرى، كيف يتلذذ بالعلم، العلم يتلذذ به كل البدن كما أُثر عن الشافعي أنه قال: "إني لأسمع الفائدة من العلم فيتلذذ لها كل بدني"، بينما الطعام التلذذ به في الفم، ولا لا؟ الرية التلذذ به في الفم وفي الرئة.

(**فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمًا... لَآثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجتِهَدْتَا**)؛ كيف تتمرس في ذوق حلاوة العلم، كلما تجد فائدة قارنها، استشعر حلاوتها، الآن أنت جالس اليوم من بعد صلاة العصر للآن، كم فائدة جديدة مرت عليك، أعدها كررها، حسس نفسك بلذتها وفائدتها، فحينئذٍ تنسى حلاوات الدنيا.

ثم قال: (**وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوىً مُطَاعٌ... وَلَا دُنْيَا بِزُخْرُفِهَا فُتِنْتَا**)؛ إذًا كيف ننال العلم؟ بترك الهوى، هذا أمر مهم جدًا، كيف ننال العلم؟ بترك الهوى وعدم الانشغال به، ما معنى الهوى؟ الهوى لذةُ النفس، ما تُريده النفس هذا هو الهواء، لا سيما إذا كان مخالفًا للشرع، أو فيه توسع في المباحات،

(وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوىً مُطَاعٌ)؛ هذا الأمر الثاني كيف أن نطلب العلم؟ بتركها، بترك الهوى المطاع المخالف للشرع بترك الانشغال به.

الثالث: بترك الدنيا بزخرفها، (وَلَا دُنْيَا بِزُخْرُفِهَا فُتِنْتَا)؛ ما الذي يشغل الناس بالعلم؟ الانشغال بزخرف الدنيا، جمال البيوت، جمال الدواب، جمال المتاع، جمال اللباس، جمال الأرض، جمال الزينة، ينشغل عن العلم بالربيع، ينشغل عن العلم بالسفر، ينشغل عن العلم بالرواحي، ينشغل عن العلم بالبحر بالبر، كيف يطلب العلم؟ كيف؟ كيف؟ الإنسان الذي لا يعرف أن الانشغال بالملذات الدنيوية هي مطباتٌ ومعوقات -إحنا بالعامية نسميها مطبات- باللغة العربية معوقات عن طلب العلم، الانشغال بزخرف الدنيا.

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البيت السادس عشر قال: (وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أَنِيقُ رَوْضٍ)؛ إذًا هذا السبب الرابع من أسباب كيفية طلب العلم، وهو عدم الإلهاء بخضرة الدنيا ونضارة أزهارها، إذا كان يلهيك عن العلم حُسن الربيع، ويبس الخريف، وبرد الشتاء، وحر المصيف، فمتى تطلب العلم متى؟ ما تتحجج، طالب العلم لا يتحجج، يقول: اليوم حر، ما أقدر اليوم برد، ما أقدر اليوم بطلع البر، ما أقدر اليوم بتدفأ، ما أقدر.. هذا يجلس في بيته أحسن، ما يمكن تطلب العلم إلا لإكراه نفسك كن حازمًا، كن عازمًا.

(وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أَنِيقُ رَوْضٍ... وَلَا خِدْرٌ بِرَبْرَبِهِ كَلُفْتَا)؛ وهذا مر ذكره.

(فَقُوتُ الرُّوْحِ أَرْوَاحُ الْمَعَانِي... وَلَيْسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَلَا شَرِبْتَا)؛ هذا أيضًا السبب الخامس أن تعلم أن العلم غذاء الأرواح، البدن له غذاء والروح له غذاء، غذاء البدن المطعومات الملائمة للجسم، غذاء الروح العلم الملائم له، ما هو العلم الملائم له؟ العلم المنزَّل، العلم الملائم للروح العلم المنزَّل، أما العلم غير المنزل وإن سمي علمًا فهو لا يُلائم النفس ولا يُصلحه بل يفسده، (فَقُوتُ الرُّوْحِ أَرْوَاحُ الْمَعَانِي)؛ المعاني التي تستنبطها الكلمات التي ورائها معاني هي أرواحها. (وَلَيْسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَلَا شَرِبْتَا).

(فَوَاظِبْهُ وَخُذْ بِالْجِدِّ فِيهِ... فَإِنْ أَعْطَاكَهُ اللَهُ انْتَفَعْتَا)؛ إذًا فيه السبب السادس المواظبة، ما هو يوم يومين، شهر شهرين، سنة سنتين، بعض الناس يجلس سنة سنتين يقول: ما استفدت، يا مسكين! الصحابة وهم صحابة جلسوا عند النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة وعشرين سنة، أبو بكر الصديق جلس

بالركب عند النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعمر وعثمان وعلي كم سنة؟ ثلاثة وعشرين سنة منذ مبعثه وحتى وفاته، ما قالوا: يا رسول الله خلاص أرسلنا نحن علماء نحن فهمنا يكفينا، لا، أبو يوسف القاضي جلس عند الإمام أبي حنيفة أربعين سنة، أربعين سنة ترى ما هو بهين لهم، بعض الناس يظن أن الأمر سهل، لا، واظب، قلبك ليس بأقسى من الحجر، والعلم ليس ألين من الماء، والماء بمرور الأيام قطراتٍ تؤثر على الصخرات، فكيف العلم لا يؤثر على قلبك بمرور الأيام، هذا غير ممكن، فواظبه.

السبب السابع الذي به تطلب العلم: الجِد، والجد بمعنى بذل غاية الوسع والطاقة، والإنسان عليه أن يبذل وسعه وطاقته ليلًا ونهارًا في طلب العلم، إذا كان أهل الدنيا كم يبذلون لدنياهم، خلونا من الناس، حنا الحين علشان المعاشات كم سار الإنسان داوم؟ أنا عن نفسي أداوم ثمان ساعات، وأنتم؟ نفسه، ثمان ساعات مداوم علشان شنو؟ خلنا واقعيين، علشان راتب، قد نُخلص، ونقول: إن شاء الله إن هذا قوت للعيال وللأهل وللزوجة، ولكن ثمان ساعات وبعدين طيب؟ طلب العلم ساعة! لا يا أخي، لا بد من الجِد وبذل غاية الوسع، أعطي العلم أنفس أوقاتك، العلم إن أعطيته كلك أعطاك بعضه، العلم بحر لا ساحل، وإن لم تعطه إلا بعضك لم يعطك شيئًا، ولذلك لا بد من المثابرة فيه، ولذلك نحن نعرف ونحن نذكر أبيات الإمام الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى، فإنها أبيات عظيمة، وهي تذكرنا أيضًا بفائدة العلم، قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (**أَخِي لَنْ تَنَالَ العِلْمَ إِلّا بِسِتَّةٍ**)؛ هنا الآن تفصيل، أخي لن تنال العلم إلا بستة أمور:

أَخِي لَنْ تَنَالَ العِلْمَ إِلّا بِسِتَّةٍ ... سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانِ

يعني ما أراح أفصلك لكن بيان واحد أذكر لك هذه الستة، (**سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانِ**). ما هي هذه الستة؟ سجلها: (**ذَكاءٌ وَحِرصٌ وَاجتِهادٌ وَبُلغَةٌ**)؛ كم صاروا؟ أربعة، هذا الشطر الأول. (**ذَكاءٌ وَحِرصٌ وَاجتِهادٌ وَبُلغَةٌ**).

الشطر الثاني: (**وَصُحبَةُ أُستاذٍ**)؛ هذه الخامسة، (**وَطولُ زَمانِ**). أعيد البيت مرة ثانية للي بيكتب:

أَخِي لَنْ تَنَالَ العِلْمَ إِلّا بِسِتَّةٍ ... سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانِ

ذَكاءٌ وَحِرصٌ وَاجتِهادٌ وَبُلغَةٌ ... وَصُحبَةُ أُسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانِ

واللي يقول: ما عندي ذكاء، يا أخي ما عندك ذكاء أطلب من الله، أبواب الله مفتوحة، يقول: يا أخي ما عندي حفظ، أطلب من الله، ما عندي اجتهاد! أطلب من الله، لا تيأس، لا تيأس، هذا من الشيطان يأتيك، حتى أهل الدنيا ترى ما كان عندهم ذكاء وحرص واجتهاد، لكن يوم يومين ثلاثة أربعة حتى صاروا ما شاء الله، هذا اللي جاب الأول في الركض، واللي جاب الأول في الرمي، واللي جاب الأول في كذا، من أول يوم، من يوم ولدته أمه يعرف هذه الأشياء؟! ولا تمرس لها؟ فكذلك العلم يحتاج إلى تمرس.

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من البيت التاسع عشر إلى البيت الرابع والعشرين محذورات طلب العلم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

١٩- وَإِنْ أُعْطِيتَ فِيهِ طَوِيلَ بَاعٍ ... وَقَالَ النَّاسُ: إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَا

٢٠- فَلَا تَأْمَنْ سُؤَالَ اللَّهِ عَنْهُ ... بِتَوْبِيخٍ: عَلِمْتَ؛ فَهَلْ عَمِلْتَا

٢١- فَرَأْسُ الْعِلْمِ تَقْوَى اللَّهِ حَقًّا ... وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ: لَقَدْ رَأَسْتَا

٢٢- وَأَفْضَلُ ثَوْبِكَ الإِحْسَانُ لَكِنْ ... نَرَى ثَوْبَ الإِسَاءَةِ قَدْ لَبِسْتَا

٢٣- إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ الْعِلْمُ خَيْرًا ... فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتَا

٢٤- وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ ... فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَا

هنا من البيت التاسع عشر إلى البيت الرابع والعشرين ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض المحذورات في طلب العلم حتى نحذر منها، فإنها جراثيم تصيب طالب العلم، قال: (**وَإِنْ أُعْطِيتَ فِيهِ طَوِيلَ بَاعٍ**)؛ يعني الله وسع عليك وصرت طالب علم، وصار لك باع في العلم، قال: (**وَقَالَ النَّاسُ: إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَا**)؛ إذًا احذر من مقالة الناس، يا أخوي أنت عندك علم شنو تضيع نفسك، راح تترك عيالك، تترك أهلك وزوجتك، لا، لا تترك العلم لمقال الناس، إذا قال الناس: فلانٌ عالم لا يجب أن يغتر، يجب عليه أن ينكب على العلم مدارسةً ومذاكرةً، والله قد أدركنا من مشايخنا من قد أفنى عمره الستين في طلب العلم ثم ندخل عليه وإذا هو يقرأ، وإذا هو يكتب في العلم، وربما نذكر له الفائدة من باب الاستفهام فيتقبلها كأنه جوعى لهذه الفائدة منذ طفولته، ليش؟ لا يجوز للإنسان أن يغتر يقول: أنا عندي علم، وأنا إمام مسجد، أنا مؤذن، أنا شيخ، أنا مدرس، لا، كما قال الإمام أحمد: "مع المحبرة إلى المقبرة".

فلا تترك العلم، هذا المحذور الأول: الاغترار بمقولة الناس، (**فَلَا تَأْمَنْ سُؤَالَ اللَّهِ عَنْهُ... بِتَوْبِيخٍ: عَلِمْتَ؛ فَهَلْ عَمِلْتَا**)؛ هذا المحذور الثاني هو ترك العمل، احذر ترك العمل بالعلم، احذر ترك العمل بالعلم، وهنا أنبه! أن العمل بالعلم، يجب ألا يلبس عليك الشيطان، العمل بالعلم على نوعين:

- عملٌ بالعلم واجب وهذا في الواجبات.
- وعملٌ بالعلم مندوب وهذا في المندوبات.

فلا يأتيك إبليس يقول لك: أنت طالب علم أنت ما تقوم بالمندوبات، لا يشترط أن تقوم بالمندوبات، لكن إذا أردت أن الله يبارك لك في علمك فقم بما تتعلمه ولو من المندوبات ولو مرةً واحدة، فإن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ احتجم وأعطى الحجام درهمين، وقال: سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتجم وأعطى الحجام درهمين، فينبغي على الإنسان أن يعمل بما علم، وأن يحذر ترك العمل.

ثم قال: (**فَرَأْسُ الْعِلْمِ تَقْوَى اللَّهِ حَقًّا... وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ: لَقَدْ رَأَسْتَا**)؛ يعني يحذر الإنسان من الرئاسات، لا يجي إنسان يلبس عليه الشيطان يقول: أنا طلبت العلم بس ما جاني منصب، ليش أنت طالب العلم علشان المنصب؟ أنت طالب العلم لتنال تقوى الله، هذا أهم شيء عندك، ما هو عشان تصير ريس، علشان تصير مدير، علشان تصير وكيل، عشان تصير وزير، لا، من طلب العلم لهذه الأشياء فإن طلبه طلبٌ شركيٌّ، ليحذر! ترى على فكرة طلب العلم ما فيه قسمة ثلاثية هي ثنائية، يا إما أن تطلبه لله فهي عبادة وأفضل العبادة، أو تطلبه لدنيا فانية فهذا شرك، احذر ما في قسم ثالث، الطبيب المهندس، كيفه يطلب العلم لدنياه شيء راجع له، ليش؟ لأنها أمور دنيوية، أما العلم الشرعي لا يسعك إلا أن تطلبه لله، ما يسعك شيء آخر، فلذلك يجب على الإنسان أن يحذر طلب العلم لدنيا.

قال: (**وَأَفْضَلُ ثَوْبِكَ الإِحْسَانُ لَكِنْ... نَرَى ثَوْبَ الإِسَاءَةِ قَدْ لَبِسْتَا**)؛ هذا محذورٌ آخر وهو الفضل في العلم والإساءة إلى الناس، احذر من هذا، وكن محسنًا، فهذه من علامات طلاب العلم، الإحسان، أنهم يحسنون إلى من أساءوا إليهم، ولا يسيئون إلى من أساءوا إليهم.

(**إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ الْعِلْمُ خَيْرًا... فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتَا**)؛ هذا محذور آخر وهو أن الإنسان إذا لم يستفد من العلم بخير من الأدب، احذر أن تكون ممن يحمل العلم ولا يستفيد منه أدبًا، احذر!،

فيكون مثله ﴿ كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ ﴾ [سورة الجمعة، من الآية:٥]، والذي يحمل العلم ولا يحمل الأدب فإنه لو بقي في الجهالة لكان خيرًا له، وهتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل، والعلم بلا أخلاق كالشجر بلا أوراق، والعلم بلا حِلم كالشجر بلا ثمر، انتبه! فاحذر عليك بالعمل وعليك بالخلق.

(**وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ... فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَا**)؛ وهذا محذور آخر، وهو الحذر من الفهم السقيم في العلم، كل فهمٍ تُعطاه في العلم أعرضه على فهم من سلف، إن كانت المسألة قديمة، وإن كانت المسألة جديدة، فأعرضه على فهم العلماء الراسخين في زمانك، وإياك والفهم السقيم الذي تنفرد به، وتظن نفسك رجيله المحكك، إياك إياك والاغترار بالنفس والهوى، (**وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ... فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَا**)؛ ثم ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من البيت الخامس والعشرين إلى البيت الثلاثين في مضرة ترك العلم وآفة الجهل.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

٢٥- سَتَجْنِي مِنْ ثِمَارِ الْعَجْزِ جَهْلًا ... وَتَصْغُرُ فِي الْعُيُونِ إِذَا كَبِرْتَا
٢٦- وَتُفْقَدُ إِنْ جَهِلْتَ وَأَنْتَ بَاقٍ ... وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ وَلَوْ فُقِدْتَا
٢٧- وَتَذْكُرُ قَوْلَتِي لَكَ بَعْدَ حِينٍ ... إِذَا حَقَّا بِهَا يَوْمًا عَمِلْتَا
٢٨- وَإِنْ أَهْمَلْتَهَا وَنَبَذْتَ نُصْحًا ... وَمِلْتَ إِلَى حُطَامٍ قَدْ جَمَعْتَا
٢٩- فَسَوْفَ تَعَضُّ مِنْ نَدَمٍ عَلَيْهَا ... وَمَا تُغْنِي النَّدَامَةُ إِنْ نَدِمْتَا
٣٠- إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ ... قَدِ ارْتَفَعُوا عَلَيْكَ وَقَدْ سَفُلْتَا
٣١- فَرَاجِعْهَا وَدَعْ عَنْكَ الْهُوَيْنَى ... فَمَا بِالْبُطْءِ تُدْرِكُ مَا طَلَبْتَا

قوله: (سَتَجْنِي مِنْ ثِمَارِ الْعَجْزِ جَهْلًا... وَتَصْغُرُ فِي الْعُيُونِ إِذَا كَبِرْتَا)؛ هذا من مضار ترك العلم، من مضار ترك العلم أن الإنسان سيجني من ثمار عجز طلبه جهل طول حياته، كما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "من لم يذق مرارة طلب العلم عاش طول عمره يذوق مرارة الجهل"، ماذا قال الشافعي: "من لم يذق مرارة طلب العلم عاش طول عمره يذوق مرارة الجهل".

قال: (وَتَصْغُرُ فِي الْعُيُونِ إِذَا كَبِرْتَا)؛ ما دام أن ما عندك علم، قال الله قال الرسول فأنت صغيرٌ في عين الناس، وإن صرت رئيسًا وكبيرًا، إذًا هذا يدلنا -أيها الإخوة- على مضار ترك العلم.

أولًا: أن مضار ترك العلم ورث الجهل.

والثاني: التصغير في العيون.

والثالث: الفقد وإن كنت حيًّا.

والرابع: الفقد بعد الموت.

فهذه من مضار طلب العلم.

قال: (وَتُفْقَدُ إِنْ جَهِلْتَ وَأَنْتَ بَاقٍ)؛ الجهل الآن لو صارت مسألة ما أحد يقول: نروح عند الجاهل الفلاني، يقول: نروح عند العلماء نسأل، فالجاهل مفقود وإن كان موجودًا. (وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ وَلَوْ فُقِدْتَا)؛ دل على أن من طلب العلم فهو موجود ولو لم يكن حيًّا باقيًا، فالآن الناس إذا اختلفوا في مسألة يقول خلونا نشوف شنو قال ابن باز، طيب هو مو موجود، لكن ينظرون في علمه، يقولون: خلونا نشوف ماذا قال الألباني في تصحيح هذا الحديث وتضعيفه؛ هو ميت، لكن يقولون: ننظر في

علمه، يقولون: ماذا قال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث؛ هو ميت لكن يرجعون إلى علمه، إذًا (تُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ وَلَوْ فُقِدْتَا).

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: (وَتَذْكُرُ قَوْلَتِي لَكَ بَعْدَ حِينٍ... وَتَغبِطُها إِذا عَنها شُغِلتا)؛ يعني هذه المقولة نذكرها في بيان مضار طلب العلم، ستذكر هذه المقالة بعد زمان حينما تُدرك ثمار الجهل، وآثار الجهل، (وَتَغبِطُها إِذَا عَنها شُغِلتا)؛ يعني بعد ذلك يصيبك الغبط وتقول: ليتني وليتني سمعت كلام والدي.

(فَسَوْفَ تَعَضُّ مِنْ نَدَمٍ عَلَيْهَا... وَمَا تُغْنِي النَّدَامَةُ إِنْ نَدِمْتَا)؛ أنت الآن في مقتبل العمر، أنت الآن في زمن الحياة يمكنك أن تطلب العلم، فاطلب العلم قبل أن يأتيك الموت تعض من ندم عليه، أحد الإخوة اتصل علي البارحة سؤال وهو يقول: إني رأيك في المنام أحد الأموات، فقلت له: أي عملٍ أفضل الأعمال عندكم؟ يقول رجل عامي، فقال لي: طلب العلم، وهذا لا شك فيه، طلب العلم أفضل الأعمال؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في حديث أبي الدرداء وغيره قال: «وَإِنّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ»، فالعلم يوصل إلى الجنة. (وَمَا تُغْنِي النَّدَامَةُ إِنْ نَدِمْتَا).

(إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ... قَدِ ارْتَفَعُوا عَلَيْكَ وَقَدْ سَفُلْتَا)؛ هذا يدلك على أن مضار ترك العلم شديدة، تجد أن الذين اشتغلوا معك الآن وصلوا إلى مرتبة عالية في العلم، يُرجع إليهم في الفتوى، يرجع إليهم في المسائل، في النوازل، في المواريث، وأنت مسيكين مكانك راوح لا أحد يلتفت إليك، ولا أحد ينظر إليك؛ لأنك كسلت، لأنك نمت، لأنك غفلت، فراجعها.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا: (فَرَاجِعْهَا وَدَعْ عَنْكَ الْهُوَيْنَى... فَمَا بِالْبُطْءِ تُدْرِكُ مَا طَلَبْتَا)؛ بالبطء ما يمكن تطلب العلم، جد واجتهد كما ذكرنا فيما مضى.

هنا من البيت الواحد والثلاثين إلى البيت الخامس والثلاثين طلب من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ابنه ومنكم أنتم يا طلاب العلم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

٣٢- وَلَا تَخْتَلْ بِمَالِكَ وَالْهُ عَنْهُ ... فَلَيْسَ الْمَالُ إِلَّا مَا عَلِمْتَا

٣٣- وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مُغْنٍ ... وَلَوْ مُلْكُ الْعِرَاقِ لَهُ تَأَتَّى

٣٤- سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ فِي مَلَاءٍ ... وَيُكْتَبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كَتَمْتَا

٣٥- وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ الْمَبَانِي ... إِذَا بِالْجَهْلِ نَفْسَكَ قَدْ هَدَمْتَا

٣٦- جَعَلْتَ الْمَالَ فَوْقَ الْعِلْمِ جَهْلًا ... لَعَمْرُكَ فِي الْقَضِيَّةِ مَا عَدَلْتَا

٣٧- وَبَيْنَهُمَا بِنَصِّ الْوَحْيِ بَوْنٌ ... سَتَعْلَمُهُ إِذَا «طَه» قَرَأْتَا

٣٨- لَئِنْ رَفَعَ الْغَنِيُّ لِوَاءَ مَالٍ ... لَأَنْتَ لِوَاءَ عِلْمِكَ قَدْ رَفَعْتَا

٣٩- لَئِنْ جَلَسَ الْغَنِيُّ عَلَى الْحَشَايَا ... لَأَنْتَ عَلَى الْكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْتَا

٤٠- وَإِنْ رَكِبَ الْجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ ... لَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْتَا

٤١- وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الْغَوَانِي ... فَكَمْ بِكْرٍ مِنَ الْحِكَمِ افْتَضَضْتَا؟

إلى هنا المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ طلب من ابنه ومن طالب العلم أن يتأمل قوله، وأن يُقارن بين الدنيا وبين العلم، يقارن بين العلم والمال، وبين العالم والغني، الإنسان العاقل يفكر، يعني مثلًا الآن أنا لو سألتكم وقلت لكم: أنتم الآن في المسجد، أنا أطلب من واحد منكم أي واحد منكم أن يعطيني باسم غني من الأغنياء كان في زمن الإمام أحمد، من يقدر؟! يا الله يا جماعة! ليش ما تقدرون تجيبون اسم غني من الأغنياء؟ لأن الغني يموت وبموته لا يُذكر، اللهم إلا أن يكون أوقف أوقافًا، والعالم الإمام أحمد ومن في طبقته ومن هو مثله أو دونه أو قريب منه في العلم لازالوا أحياء عندنا، من منكم لا يعرف الإمام أحمد؟ من منكم لا يعرف البخاري؟ يا إخوان نقارن بين العلم وبين الجهل، وبين العالم وبين الغني لا نجد أي مقارنة أصلًا، لا ينبغي أصلًا أن نقارن هذا زائل وهذا باقي، لذلك قال: (وَلَا تَخْتَلْ بِمَالِكَ وَالْهُ عَنْهُ... فَلَيْسَ الْمَالُ إِلَّا مَا عَلِمْتَا)؛ المال الحقيقي هو علمك، ليش؟ لأنه يدخل معك القبر، المال الذي في حسابك ما يدخل معك القبر؛ هذا يذهب لورثتك.

(وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مُغْنٍ... وَلَوْ مُلْكُ الْعِرَاقِ لَهُ تَأَتَّى)؛ الجاهل لو صار أمير لو صار ملك على العراق لكن لا يستطيع الناس أن ينتفعوا به، يتضررون منه، ليش؟ لأنه أميرٌ على جهالة، لكن لو كان عنده علم وملك كان على خير، فما في مقارنة حتى أمراء الزمان مثلًا، لو قال لنا قائل: في زمن الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الحسن شنو قلنا؟ الحسن شنو؟ البصري، من هو أمير البصرة في

زمانه، والله ما تعرف، ليش ما نعرف؟ لأن العالم هو الذي يبقى والأمراء يذهبون، لو قلنا لكم: من هو الأمير الذي كان في بخارى يوم أن مات الإمام البخاري؟ ربما تسعين في المية من الناس لا يعرفون من هو الأمير الذي كان في بخارى يوم موت البخاري، وكل الناس يعرفون البخاري، (**وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مُغْنٍ... وَلَوْ مُلْكُ الْعِرَاقِ لَهُ تَأَتَّى**).

(**سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ فِي نديٍّ... وَيُكْتَبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كَتَمْتَا**)؛ وهذه فائدة مهمة جدًا، أن علمك هذا سيتكلم عنك في ندي أي في طريقة طرية، وأصل الندى الماء الذي ينزل على الأوراق، أو في ندي أي في نادٍ في مجتمع، إما أن يكون المقصود في ندي أي في ماء ندي، أو في ندي مكانٍ ندي، إذا قلنا: ماء ندي أي يكتب عنك بطريقةٍ طيبة، وإذا قلنا: في مكانٍ ندي؛ أي في مكانٍ مجتمعٍ فيه الناس.

فنحن الآن مثلًا نقرأ منظومة الإلبيري ولا نقرأ ماذا كان أبو بكر يملك من المال، صح ولا لا؟ طيب كتبنا عنه، (**وَيُكْتَبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كَتَمْتَا**)؛ وهذه فائدة لطيفة، بقدر ما تكتب يُكتب عليك، اكتب، ولهذا كان من أهل العلم من يكتب ليله ونهاره، الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما رأى كتابًا إلا استنسخه، ما رأى كتابًا إلا نسخه، لذلك وجد البخاري بخط نسخ يده، الكتب الستة بخط نسخ يده، شاف المغني والشرح الكبير نسخه بخط يده ثم اختصره، زاد المعاد نسخه بخط يده ثم اختصره، اكتب، اكتب ليلك ونهارك انشغل، يا أخي ما الذي تنفع بهذا الآيفون وبهذه التويترات والواتسآبات اللي تنشغل بها ليلك ونهارك، ما الذي تنتفع به، اكتب.

ثم قال: (**وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ الْمَبَانِي... إِذَا بِالْجَهْلِ نَفْسَكَ قَدْ هَدَمْتَا**)؛ أيش الفائدة من أنك تسوي مباني وتشغل نفسك، بعض طلاب العلم انشغلوا بالبنايات، انشغلوا بالبنايات حتى عن تعليم الناس، وهو واجب عليه، انشغل عن تعليم الناس بالمباني ثم نسي العلم مع الأسف الشديد.

(**جَعَلْتَ الْمَالَ فَوْقَ الْعِلْمِ جَهْلًا... لَعَمْرُكَ فِي الْقَضِيَّةِ مَا عَدَلْتَا**)؛ لو خُيرت بين علم ومال يجب أن تختار العلم ما تختار المال، لو قالوا لك: تأتي إلى مجلسٍ علمي وتكتسب الفوائد أو تذهب إلى المكان الفلاني تعطى مئة دينار، لو كنت مقدرًا للعلم لفوت الدنانير وكسبت العلم.

قال: (**وَبَيْنَهُمَا بِنَصِّ الْوَحْيِ بَوْنٌ... سَتَعْلَمُهُ إِذَا «طَه» قَرَأْتَا**)؛ طه اسمٌ للقرآن، وهذا ذكره بعض أهل العلم.

قال أبو إسحاق الإلبيري في تائيته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣٨- لَـئِنْ رَفَـعَ الْغَنِـيُّ لِـوَاءَ مَـالٍ لأَنْـتَ لِـوَاءَ عِلْمِـكَ قَـدْ رَفَعْتَـا
٣٩- لَـئِنْ جَلَـسَ الْغَنِـيُّ عَلَـى الْحَشَـايَا لأَنْـتَ عَلَـى الْكَوَاكِـبِ قَـدْ جَلَسْـتَا
٤٠- وَإِنْ رَكِـبَ الْجِيَـادَ مُسَـوَّمَاتٍ لأَنْـتَ مَنَـاهِجَ التَّقْـوَى رَكِبْتَـا
٤١- وَمَهْمَـا افْـتَضَّ أَبْكَـارَ الْغَـوَانِي فَكَـمْ بِكْـرٍ مِـنَ الْحِكَـمِ افْتَضَضْـتَا؟

من هذا البيت؛ البيت السابع والثلاثين إلى الأربعين مقارنة بين أهل الدنيا وبين أهل العلم، بين طلاب الدنيا وبين طلاب العلم، فإن العاقل مجرد ما أن يفكر في المقارنة اليسيرة بين طلاب الدنيا وبين طلاب العلم يجد البون الشاسع؛ حيث لا مقارنة بين من طلب العلم وبين من طلب الدنيا.

من علامات ذلك أن أصحاب الغنى يرفعون لواء الأموال، ويقولون كما قال فرعون: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [سورة القصص، من الآية:٧٨]؛ ويقول: أنا.. أنا، وأما أهل العلم فإنهم لا يرفعون لواء الأنا والأنانية، وإنما يرفعون لواء العلم، فنداؤهم: قال الله، وقال الرسول، ولواؤهم التبليغ عن الله والرسول، فشتان بين من يعوي وينادي على الدنيا، وبين من ينادي إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وإلى رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإلى العلم الشرعي.

المقارنة الثانية هي مقارنة المجالس؛ فإن أهل الدنيا كما قال المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ: (**وإن جَلَسَ الْغَنِيُّ عَلَى الْحَشَايَا**)؛ والمقصود هنا بالحشايا كناية عن المجالس الوفيرة الكثيرة ذي الرفاهية؛ مراتب وأسرَّة وغير ذلك، ويظنون أنهم بهذا قد ارتفعوا، هذه هي مجالس الغنى، مجالس أهل الغنى مجالس ترفه، ومجالس رفاهية.

وأما مجالس أهل العلم، فإنها بيوت الله عَزَّوَجَلَّ، إذًا لا مقارنة من هذه الجهة أيضًا، ثم إنهم إذا ارتفعوا بمجالسهم وكراسيهم؛ فإن أهل العلم وطلاب العلم يرتفعون على الكواكب، كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فَضْلَ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ**».

ثم إذا كانت المسألة في المقارنة بين المراكب؛ فإن أهل الدنيا يركبون المراكب الفاخرة في زمانهم الجياد، وهي أطيب وأحسن أنواع الخيول، (**وَإِنْ رَكِبَ الْجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ**)؛ مسومات يعني معلمات بالزينة مزخرفات، مثل حال الناس اليوم، أهل الدنيا يركبون سيارات فارهة، وطيارات من الدرجة الأولى للراحة، ونحو ذلك، وأنت ماذا تركب؟ قال المصنف: (**لأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْتَا**)؛

وشتان بين من يركب لينتقل من مكانٍ وضيع في الدنيا إلى مكانٍ مثله، وبين من يركب مناهج التقوى فيرتقي إلى الله عَزَّوَجَلَّ، شتان شتان، فطلاب الدنيا يركبون مراكب الرفاهية للتنقل من مكانٍ إلى مكان، وطلاب العلم يركبون درجات وسلالم التقوى ليصلوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فكم بينهم من البون الشاسع؟

والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بين الفرق فقال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ**»، كم بين النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأدنى الصحابة منزلةً؟ فرق عظيم، هكذا العلماء في الدنيا -جعلنا الله وإياكم من طلاب العلم-.

ثم نظر المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ إلى أمرٍ آخر يحصل فيه التفاتٌ من بعض طلاب العلم إلى أهل الدنيا، وهي كونهم يتزوجون وينكحون فقال: (**وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الْغَوَانِي**)؛ والغواني جمع غانية، وهي المرأة الحسناء الجميلة، والأبكار جمع بكر، وامرأة بكر ورجل بكر بمعنىً واحد، فأهل الدنيا هذه ملذاتهم؛ أنا عندي، وهذا مجلسي، وذاك مركبي، وهذه زوجتي، يفتخرون بهذه الأمور، أما أهل العلم فالإنية عندهم مهضومة، والعندية عندهم مفقودة، والمراكب عندهم هي مراكب العلم يرتقون بها إلى العوالي، يصلون بها إلى مجالس التقوى، ولهذا قال من أهل العلم: "من لم يتعب ركبه في الجلوس بين العلماء لم يستطع أن يطلب العلم".

(**وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الْغَوَانِي، فَكَمْ**)؛ هذا الآن أنت. (**فَكَمْ بِكْرٍ مِنَ الْحِكَمِ افْتَضَضْتَا؟**)؛ كم هنا للتكثير ولا للتقليل؟ قلنا في المحاضرة الماضية: أن كم إذا كان بعده منصوبًا فيكون للاستفهام، صح؟ وإذا كان ما بعده مجرورًا فيكون للتكثير. (**فَكَمْ بِكْرٍ مِنَ الْحِكَمِ افْتَضَضْتَا؟**)؛ فأنت تجلس في مجلس العلم الواحد وتحصل على أشياء بالنسبة إليك بكر، وعلى علوم بالنسبة إليك جديدة، فتجد فيها اللذة والراحة النفسية والتقى؛ فهذا أمر عظيم -أيها الإخوة-. فينبغي على الإنسان أن يحمد الله تَبَارَكَوَتَعَالَى.

٤٢- وَلَـــيْسَ يَضُـــرُّكَ الإِقْتَـــارُ شَـــيْئًا ... إِذَا مَـــا أَنْـــتَ رَبَّـــكَ قَـــدْ عَرَفْتَـــا

٤٣- فَمَـــاذَا عِنْـــدَهُ لَـــكَ مِـــنْ جَمِيـــلٍ ... إِذَا بِفِنَـــــاءِ طَاعَتِـــــهِ أَنَخْتَـــــا

٤٤- فَقَابِـــلْ بِـــالْقَبُولِ لِنُصْـــحِ قَـــوْلِي ... فَـــإِنْ أَعْرَضْـــتَ عَنْـــهُ فَقَـــدْ خَسِـــرْتَا

٤٥- وَإِنْ رَاعَيْتَـــــهُ قَـــــوْلًا وَفِعْـــــلًا ... وَتَـــاجَرْتَ الإِلَـــهَ بِـــهِ رَبِحْتَـــا

٤٦- فَلَيْسَـــتْ هَـــذِهِ الـــدُّنْيَا بِشَـــيْءٍ ... تَسُـــوؤُكَ حِقْبَـــةً وَتَسُـــرُّ وَقْتَـــا

٤٧- وَغَايَتُهَـــــا إِذَا فَكَّـــــرْتَ فِيهَـــــا ... كَفَيْئِـــكَ أَوْ كَحُلْمِـــكَ إِذْ حَلَمْتَـــا

٤٨- سُـــجِنْتَ بِهَـــا وَأَنْـــتَ لَهَـــا مُحِـــبٌّ ... فَكَيْـــفَ تُحِـــبُّ مَـــا فِيـــهِ سُـــجِنْتَا؟

٤٩- وَتُطْعِمُـــكَ الطَّعَـــامَ وَعَـــنْ قَرِيـــبٍ ... سَـــتَطْعَمُ مِنْـــكَ مَـــا فِيهَـــا طَعِمْتَـــا

٥٠- وَتَعْـــرَى إِنْ لَبِسْـــتَ بِهَـــا ثِيَابًـــا ... وَتُكْسَـــى إِنْ مَلَابِسَـــهَا خَلَعْتَـــا

٥١- وَتَشْـــهَدُ كُـــلَّ يَـــوْمٍ دَفْـــنَ خِـــلٍّ ... كَأَنَّـــكَ لَا تُـــرَادُ لِمَـــا شَـــهِدْتَا

٥٢- وَلَـــمْ تُخْلَـــقْ لِتَعْمُرَهَـــا وَلَكِـــنْ ... لِتَعْبُرَهَـــا فَجِـــدَّ لِمَـــا خُلِقْتَـــا

٥٣- وَإِنْ هُـــدِمْتْ فَزِدْهَـــا أَنْـــتَ هَـــدْمًا ... وَحَصِّـــنْ أَمْـــرَ دِينِـــكَ مَـــا اسْـــتَطَعْتَا

٥٤- وَلَا تَحْـــزَنْ عَلَـــى مَـــا فَـــاتَ مِنْهَـــا ... إِذَا مَـــا أَنْـــتَ فِـــي أُخْـــرَاكَ فُزْتَـــا

٥٥- فَلَـــيْسَ بِنَـــافِعٍ مَـــا نِلْـــتَ مِنْهَـــا ... مِـــنَ الْفَـــانِي إِذَا الْبَـــاقِي حُرِمْتَـــا

٥٦- وَلَا تَضْـــحَكْ مَـــعَ السُّـــفَهَاءِ يَوْمًـــا ... فَإِنْـــكَ سَـــوْفَ تَبْكِـــي إِنْ ضَـــحِكْتَا

٥٧- وَمَـــنْ لَـــكَ بِالسُّـــرُورِ وَأَنْـــتَ رَهْـــنٌ ... وَمَـــا تَـــدْرِي أَتُفْـــدَى أَمْ غُلِلْتَـــا؟

من البيت الحادي والأربعين -بالحسبة اللي عندي- لأن الحساب مختلف عندكم، من قوله: (**وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا**)؛ يعني الحادي والأربعين والثاني والأربعين، هذا أيضًا في بيان فضل العلم.

يقول: (**وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا**)؛ الإقتار والقتر بمعنى الفقر، فالقتر بمعنى الفقر، وفلانٌ مقترٌ؛ أي مفتقرٌ، وقد تُطلق هذه الكلمة ويُراد بها التقليل في النفقة لقلة المال، (**وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا**)؛ كونك تنفق قليلًا لعدم وجود المال عندك هذا لا يضرك، فإنك إن أكلت خبزًا يابسًا فقد أشبعت بطنك، وإن أكلوا المشاوي فقد أشبعوا بطنًا؛ النتيجة واحدة، هذا شبعٌ وهذا شبع، إن

شربت ماءً ارتويت، وإن شربوا شرابًا ارتووا؛ النتيجة واحدة هي الري، ولهذا طالب العلم لا ينظر إلى هذه الأمور، وإنما ينظر إلى ما به قوام صلبه وذهاب ريه فحسب.

(**وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا... إِذَا مَا أَنْتَ رَبَّكَ قَدْ عَرَفْتَا**)؛ فأنت قد تتدفى بملابس رثة رخيصة يحصل لك الدفء في الشتاء، وغيرك يلبس الملابس الفاخرة يحصل له الدفء في الشتاء؛ النتيجة واحدة، أنت في دفءٍ وهو في دفء، (**وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا... إِذَا مَا أَنْتَ رَبَّكَ قَدْ عَرَفْتَا**)؛ والعلاقة بين الإقتار في الإنفاق وبين معرفة الله عَزَّوَجَلَّ له فائدتان:

الأولى: أن هذا الذي أنت عليه هو من تقدير رب العالمين جَلَّوَعَلَا، ولولا أنه سبحانه يرى أن الدنيا لا يساوي شيئًا؛ لجعلها لخيرة خلقه وأنبيائه ورسله، فمات نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولم يشبع من خبز البُر -صلوات ربي وسلامه عليه-، مات عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وهو يُرقع نعله، ويُخيِّط ثوبه، ويجلس على الحصير، أولا تزعم أنك مقتدٍ به؛ فأي شيء من الإقتار يضرك بعد هذا.

الأمر الثاني: أن الإنسان الذي عرف الله عَزَّوَجَلَّ لا يلتفت إلى هذه الأمور الآنية؛ لعلمه بأن ما عند الله خيرٌ وأبقى، كما قال عز من قائلٍ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [سورة الضحى، من الآية:٤-٥]؛ أي: في الآخرة، حتى ذكر بعض المفسرين تحت هذه الآية: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾؛ ولا يرضى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتى يقبل الله شفاعته في أمته كلهم، فيُخرج الموحدين من النار، هذا أمر عظيم.

ثم قال: (**فَمَاذَا عِنْدَهُ لَكَ مِنْ جَمِيلٍ... إِذَا بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ أَنَخْتَا**)؛ لا تنخ قلبك في فناء الدنيا، وأنخ قلبك في طاعة المولى سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، أوَ تعلم أي جميل لك عند الله عَزَّوَجَلَّ؟! إذا أصبحت منيبًا أوّاهًا، هذا من معاني: (**إِذَا بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ أَنَخْتَا**)؛ أي أصبحت منيبًا أوابًا، وفناء الطاعة أن تستظل بظلها، فلا تخرج من واحدةٍ إلا إلى أخرى مثلها، ولا ترضى أن تكون من دونها، وهذا من معاني قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [سورة الشرح، من الآية:٧]؛ أي إذا فرغت من عبادةٍ وطاعةٍ فاستظل بأخرى، ولا تكن من غير ظلٍّ من الطاعة فتُعرى، فاختر لنفسك يا عبد الله.

ثم من قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**فَقَابِلْ بِالْقَبُولِ صحيح نصحي**)؛ من هذا البيت اللي هو الرابع والأربعين إلى الثامن والخمسين؛ الحذر من الدنيا، ومقارنة أخرى بين العلم والدنيا.

يقول: (**فَقَابِلْ بِالْقَبُولِ صحيح نصحي... فَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْتَا**)؛ الإنسان الذي يُنصح؛ إما أن يكون النصح الموجه إليه صحيحًا أو سقيمًا، فعليه بأخذ الصحيح وترك السقيم، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:٥٣]، وكما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾ [سورة الزمر، من الآية:١٨]، (**فَقَابِلْ بِالْقَبُولِ صحيح نصحي**)؛ لأن النصح الصحيح لا يجوز رده من أي كائنٍ كان، (**فَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْتَا**)؛ الإعراض عن النصح الصحيح وعن القول الحق الفصيح سببٌ من أسباب الخسارة، ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [سورة يونس، من الآية:٣٢].

ثم قال: (**وَإِنْ رَاعَيْتَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا... وَتَاجَرْتَ الإِلَهَ بِهِ رَبِحْتَا**)؛ يحتمل في الهاء في قوله: (**وَإِنْ رَاعَيْتَهُ**)؛ أنه راجع إلى العلم، (**وَإِنْ رَاعَيْتَهُ**)؛ أي راعيت العلم الذي تطلبه قولًا وفعلًا، (**وَتَاجَرْتَ الإِلَهَ بِهِ رَبِحْتَا**)؛ يعني تجعل العلم سبيلًا للمتاجرة بينك وبين الله عَزَّوَجَلَّ، فتطلب بطلبك العلم الجنة، تطلب بطلبك العلم رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تطلب بطلبك العلم المنازل العلية في الفردوس الأعلى، فأنت أنت.

والمعنى الثاني (**وَإِنْ رَاعَيْتَهُ**)؛ على أن الضمير يرجع إلى نصحه، وقوله في هذه المنظومة: أن الإنسان ينبغي عليه أن يُراعي هذه النصيحة وهذا النصح قولًا وفعلًا، ويقدم هذه النصيحة ويعمل بها فيصبح متاجرًا مع الله عَزَّوَجَلَّ، والله سبحانه يقول في سورة الصف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الصف، من الآية:١٠]؛ إذًا التجارة تجارتان؛ تجارة في سورة الصف وهي مع الله، وتجارة في سورة الجمعة وهي مع الدنيا، فأي التجارتين تختار؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [سورة الصف، من الآية:١٠-١١]، وأعظم الجهاد طلب العلم، ولولاه ما عرف الناس كيف يُجاهدون.

وأما التجارة الدنيوية فالله يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الجمعة، من الآية:١٠]، وقال عن ضعاف الإيمان وعن بعض المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [سورة الجمعة، من الآية:١١]؛ فهذا أمر ينبغي الحذر منه.

ثم قال: (**فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ... تَسْوؤُكَ حِقْبَةً وَتَسُرُّ وَقْتَا**)؛ كيف تريد أن تعرف قيمة الدنيا، كيف يُعرف قيمة الشيء أصلًا؟ الذهب له قيمة، لماذا له قيمة؟ لأن الناس جعلوا له قيمة، وإن أراد الناس أن يجعلوا للحديد قيمة ما استطاعوا، إذًا هناك أشياء لها قيمة خلقةً من الله، والناس يعملون وفق ذلك، فلننظر إلى الدنيا، هل لها قيمة عند الله؟ يقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة**»، فأي قيمة لها؟ ومما يؤكد هذا المعنى أن الدنيا لا قيمة لها: لو كان لها قيمة تذكر لما جعلها الله لنمرود وفرعون ونيلين واستالين وأمثالهم من الطواغيت الظلمة الفجرة، هذا أكبر دليل أنها لا تساوي عند الله شيء، ثم إذا أردت أن هذه الدنيا لا تساوي شيء انظر إلى من ملكها، هل خرج منها بغير الكفن؟ هل خرج منها بغير الكفن؟ الجواب: لا، إذًا فليست هذه الدنيا بشيء.

ومما يؤكد أنها ليست بشيء ما ذكره الناظم في الشطر الثاني: (**تَسْوؤُكَ حِقْبَةً وَتَسُرُّ وَقْتَا**)؛ فالشيء الذي هو شيء هو ما به دوام السرور، ولا يأتي من جهته الشرور، وهذا لا يكون إلا في دار الحبور، إذًا الدنيا (**تَسْوؤُكَ حِقْبَةً وَتَسُرُّ وَقْتَا**)، تجد صاحب المال اليوم منغم منعم، وغدًا مريض يحمل هم الدنيا، وبعضهم -كما أعرف بعضهم- عنده مال تنعم به، فلما كبر أصبح ماله وبالًا عليه، كيف؟ ذهب أولاده إلى المحكمة وعملوا عليه حجرًا، صار أبوهم سفيهًا بقضاء القاضي، فصار المال وبالًا عليه، بل ومنهم من يقتله أولياؤه ليأخذوا ماله، فأي قيمة للدنيا بالله عليكم؟!

(**تَسْوؤُكَ حِقْبَةً وَتَسُرُّ وَقْتَا**)؛ اليوم أنت مغرورٌ بعافيتك، وغدًا مشغولٌ بمرضك، اليوم محبورٌ بمالك، وغدًا موزورٌ بمالك، لذلك قال: (**وَغَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا... كَفَيْئِكَ أَوْ كَحُلْمِكَ إِذْ حَلَمْتَا**)؛ غاية الدنيا يعني أكبر شيء يمكن يصل إليه الدنيا لو تأملت فيها تجد أنها مثل الظل ظهر ثم اختفى، أو مثل الحُلم كان وذهب، تريدون التأكيد على هذا المعنى؟! كل واحد هنا له عمر؟ اللي وصل الخمسين، اللي وصل الأربعين، اللي وصل الثلاثين، اللي وصل العشرين، اللي وصل الستين، كل واحد منا يفكر كيف مضى؟ كفيءٍ أو كحلمٍ؛ أكبر وأطول إنسان عاش على وجه الأرض من هو؟ نوح عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، صح؟ مكث فقط في الدعوة، في الدعوة إلى الله فقط مكث ألف إلا خمسين عامًا، وكم كان قبل ذلك وقبل أن يُبعث؟ ثم كم عاش بعد الطوفان؟ عمر، فلما جاءه الأجل، جلس إليه أولاده حامٌ وسامٌ ويافث، وقالوا له ومعه أحفاده وأحفاد أحفاده: يا أبانا! يا نبي

الله! أخبرنا كيف أمضيت هذا العمر؟ كفيء أو كحلمٍ، عمر، ليس كأعمارنا ستين، يمكن سبعين، وإذا جاوزت بعد ذلك تقول: يا الله متى يجي الموت وأرتاح؟!، فقال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: "كأني أدخل من باب وأخرج من باب"، ما يتذكر إلا هذا المعنى مع أنه أمضى حياته في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

فكيف بمن يمضون دنياهم في دنيا فانية؟! سكراتٍ ذهبت، وغدراتٍ طويت، وفجراتٍ سقمت، وعثراتٍ ظلمت، وبقيت الحسرات والندامات، **(وَغَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا... كَفَيْئِكَ أَوْ كَحُلْمِكَ إِذْ حَلَمْتَا)**.

طبعًا (حَلَمت) بفتح اللام من الحِلم وهي الرؤيا في المنام، وأما (حلُمت) بضم اللام حلُم الرجل أي صار حليمًا، فرقٌ بين الأمرين، الحليم الرجل الرزين، والحُلم مصدره مصدر: حلم يحلَم حُلمًا، وأما حلُم يحلُم حِلمًا؛ فهذه هي الرؤيا، فرقٌ بين الأمرين.

ثم قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: **(سُجِنْتَ بِهَا وَأَنْتَ لَهَا مُحِبٌّ... فَكَيْفَ تُحِبُّ مَا فِيهِ سُجِنْتَا؟)**؛ لا يمكن لعاقل أن يحب السجن الذي سُجن فيه، طيب الدنيا سجن المؤمن، فكيف نحبها؟ ما رأينا سجينًا في الدنيا يحب السجن، وإنما يمضي في السجن العاقل منهم ما به يكون فكاكه ونجاته، والمجنون منهم من يخبط رأسه، ويشمخ وجهه، ويظلم أصحابه حتى في السجن؛ فيزداد سجنًا فوق السجن.

(وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَرِيبٍ... سَتَطْعَمُ مِنْكَ مَا منها طَعِمْتَا)؛ هذا حال الدنيا، أن الله جَلَّوَعَلَا جعل الدنيا سببًا من أسباب إخراج الطعام، النبات، ومن النبات يعيش الإنسان والحيوان، ثم أنت تأكل النبات وتأكل من الحيوان اللبن واللحم، **(وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَرِيبٍ... سَتَطْعَمُ مِنْكَ مَا منها طَعِمْتَا)**؛ طبعًا هذا العموم، **(سَتَطْعَمُ مِنْكَ مَا منها طَعِمْتَا)**؛ هذا عموم صحيح على الكل إلا الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- «**فإن الله عَزَّوَجَلَّ حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»؛ حديث صحيح.

طبعًا متى الأرض تطعمك؟ أنت الآن تُطعم من الأرض، وتستطعم من الأرض، لكن إذا مت هي ستطعمك الأرض، والأرض والسماء هما مبدأ ومنتهى الدنيا، ويصح أن يُطلق على الأرض الدنيا، أي أرض الدنيا، والأرض أرضان، أرض الدنيا وهي الفانية، وأرض الجنة وهي الباقية، ولهذا يقول أهل الجنة -جعلني الله وإياكم منهم-: إذا دخلوا الجنة كما قال عَزَّوَجَلَّ أن الملائكة يدخلون عليهم يقولون: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ

﴿أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٧٣-٧٤]؛ الأرض هنا الألف واللام للعهد، ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾؛ أي أرض الجنة، بدلالة ما بعدها من السياق. ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ الآية.

قال: (**وَتَعْرَى إِنْ لَبِسْتَ بِهَا ثِيَابًا... وَتُكْسَى إِنْ مَلَابِسَهَا خَلَعْتَا**)؛ هي قضية عكسية صارت الآن، إن لبست لباس أهل الدنيا؛ فإذا ما مت خلعوا عنك اللباس ولم تُكس؛ لأنك من أصحاب الدنيا وأهل الدنيا، لكن إن لم تلبس لباس أهل الدنيا ولبست لباس العلم والدين والطاعة؛ فإذا ما خلعوا ما عنك لباس الدنيا كساك الله عَزَّوَجَلَّ، (**وَتُكْسَى**)؛ يعني في القبر، (**وَتُكْسَى**)؛ يعني يوم الحشر. (**إِنْ مَلَابِسَهَا خَلَعْتَا**)؛ ولهذا جاء في الحديث أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إن أول من يُكسا إبراهيم** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ»، قال العلماء -ولعل الحكمة في ذلك-: أنه أول من بنى بيتًا لله وكساه، وقد جاء في الحديث الحسن -إن شاء الله-: «**أيما رجلٍ مسلمٍ كسا مسلمًا على عُرِيٍ كساه الله يوم القيامة**»، طيب هذا إذا كان في الثوب، طيب.. وإذا كسيت جهله بالعلم، كساك الله حللًا لا تقوم لها الدنيا.

قال: (**وَتَشْهَدُ كُلَّ يَوْمٍ دَفْنَ خِلٍّ... كَأَنَّكَ لَا تُرَادُ لِمَا شَهِدْتَا**)؛ وهذا أمر آخر يؤكد لنا أن الدنيا ليست بشيء، كل يوم نشهد موت فلان، ودفن فلان، ومرض فلان، ومصيبة فلان، والخِل هو الصاحب القريب الذي لا غنى لك عنه، (**وَتَشْهَدُ كُلَّ يَوْمٍ دَفْنَ خِلٍّ... كَأَنَّكَ لَا تُرَادُ لِمَا شَهِدْتَا**)؛ وأنت في غفلة لا تهتم، لا تهتش، ولا تبش، كأنك أنت لست المقصود، ولهذا قال بعض المفسرين عند قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [سورة فاطر، من الآية:٣٧]؛ قال: فإذا جاء ملك الموت يقول له المغفل: يا ملك الموت! هلا أنذرتني وأخبرتني؟!، قال: بلى قد أنذرتك وأخبرتك، قال: ومتى؟ قال: ألم يمت قريبك فلان؟ ألم يمت فلان صاحبك؟ جارك؟ قال: بلى، قال: أو لم يكن هذا نذيرًا لك، أو ما بلغك الشيب في رأسك؟ قال: بلى، قال: ما كان نذيرًا لك؟ وهكذا.

(**وَلَمْ تُخْلَقْ لِتَعْمُرَهَا وَلَكِنْ... لِتَعْبُرَهَا فَجِدَّ لِمَا خُلِقْتَا**)؛ الناس يظنون أنهم خلقوا للدنيا، هكذا حال أهل الدنيا، لكن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يقول: إن الدنيا ما خلقنا الله لها، وإنما خلقها لنا، وفرقٌ بين الأمرين، الدنيا ما خلقنا الله لها، وإنما خلقها الله لنا، ويقول سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في بيان خلقه لنا: ﴿وَمَا

﴿خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:٥٦]؛ إذًا نحن لم نخلق لعمارة الدنيا، فما يقوله بعض الناس: أنا نُعمِّر الدنيا؛ هذا كلام غير صحيح، نحن لسنا من عمَّار الدنيا، وإنما نحن من عمَّار الآخرة، (**فَجِدَّ لِمَا خُلِقْتَا**)؛ خُلقت لعبادة فجد لذلك.

(**وَإِنْ هُدِمْتْ فَزِدْهَا أَنْتَ هَدْمًا... وَحَصِّنْ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَا**)؛ لهذا يقول العلماء: السعيد من قبض على دينه وإن خسر دنياه، والشقي من خسر دينه لأجل دنياه؛ هذه شقاوة، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ السلامة والعافية.

(**وَإِنْ هُدِمْتْ فَزِدْهَا أَنْتَ**)؛ لا تهتم بها، (**وَحَصِّنْ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَا**)؛ حصن وأعظم ما يحصن به أمر الدين العلم.

(**وَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا... إِذَا مَا أَنْتَ فِي أُخْرَاكَ فُزْتَا**)؛ إذا دخل أهل الجنة الجنة لن يتحسر أحدٌ على فوات شيء من خيرات الدنيا ونعيمها، ولكنهم -لا سيما أهل النار- منهم يتحسرون على ساعاتٍ مضت بغير طاعةٍ وطويت.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نِلْتَ فيها... مِنَ الْفَانِي إِذَا الْبَاقِي حُرِمْتَا**)؛ لو أن الإنسان أعطي الدنيا ومثلها معها ما نفعه ذلك إذا حُرم الآخرة، ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ على بعض من يريدون الفداء والعدل: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٣٦]؛ لذلك (**فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نِلْتَ فيها... مِنَ الْفَانِي إِذَا الْبَاقِي حُرِمْتَا**).

ثم قال: (**وَلَا تَضْحَكْ مَعَ السُّفَهَاءِ يَوْمًا... فَإِنْكَ سَوْفَ تَبْكِي إِنْ ضَحِكْتَا**)؛ الضحك مع السفهاء سفهٌ، وإنما العالم وطالب العلم يمتثل أمر الله، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:٦٨]؛ هكذا يجب عليك، وقال: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:٦٨]؛ هذا الواجب عليك.

أما من يضحك مع السفهاء يومًا فإنه سوف يبكي، (**فَإِنْكَ سَوْفَ تَبْكِي إِنْ ضَحِكْتَا**)؛ لأن ضحك الإنسان مع السفهاء موافقةٌ لهم، ودخول على دنياهم، واغترار لهم بما هم عليه، فأنت متسبب لذاك.

ثم قال: (**وَمَنْ لَكَ بِالسُّرُورِ وَأَنْتَ رَهْنٌ... ولا تَدْرِي أَتُفْدَى أَمْ غُلِلْتَا؟**)؛ ما من إنسان إلا وهو مرهون، مغلولٌ يداه إلى عنقه، لا يُدرى أيفك غله فيُذهب به إلى الجنة، أو يُلقى مع الأغلال في النار لا يدري، لا أحد عنده صك، ولا كتاب، ولا علم، ولا اطلاع على الغيب، لهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل الناس يغدو**»، وأنتم ترون في الصباح الزحامات كلهم طالعين يدورون. «**فبائع نفسه فمعتقها**»؛ يتحرر من الأغلال ومن أسر الدنيا، «**فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها**»، نسأل الله السلامة والعافية.

ثم ذكر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من الثامن والخمسين: (**وَسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ**)؛ إلى البيت الواحد والستين: (**وَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي الْأَرْضِ**)؛ أهمية الافتقار إلى الله لطالب العلم.

نكتفي بهذا القدر، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.